

الجثث «المحنّطة طبيعياً» ظاهرة غامضة في بلدة كولومبية





تركع كلوفيسنيريس بيخارانو للصلاة أمام جثة والدتها ساتورينا التي توفيت قبل نحو 30 عاماً، لكنّ ملامحها ظلت سليمة لعدم تحلل الجثة، في ظاهرة «تحنيط طبيعي» تشهدا قرية سان برناردو الكولومبية ولا تزال من دون تفسيرات. وتقول بيخارانو واقفةً أمام تابوت زجاجي معروض في متحف المومياوات في سان برناردو الواقعة على بعد نحو 100 كيلومتر جنوب بوغوتا (وسط) «ما زالت تحتفظ بملامح وجهها وبشعرها المضفر...».

في عام 1993، وُضعت جثة ساتورينا توريس دي بيخارانو التي توفيت جراء معاناتها مشاكل في قلبها، داخل مقبرة في مدافن المدينة. وعندما استُخرج رفاتها بعد ثماني سنوات، اكتشف أقاربها أن جزءاً كبيراً من الجثة بقي سليماً. لم يشكّل هذا الاكتشاف مفاجأة كبيرة لسكان سان برناردو.

وتقول روسيو فيرغارا، مديرة المتحف، حيث تُعرض 14 جثة لم تتحلّل، وبقي بعض أعضائها كالعيون والأظافر سليماً، لأسباب غير معروفة، إنّ «الجثث غير المتحللة باتت من حياتنا اليومية».

ويعود تاريخ أول اكتشاف لجثة غير متحللة في هذه المقبرة إلى عام 1953، وتكرّرت مُذّاك هذه الظاهرة، حتى وصل عدد «المومياوات» إلى 50 سنوياً في نهاية ثمانينات القرن العشرين.

ولا يوجد راهناً سوى عدد قليل من الجثث غير المتحللة، بحسب فيرغارا، إذ باتت معظم العائلات تختار حرق الجثث. ولا تجد كلوفيسنيريس بيخارانو التي تصطحب أحفادها بانتظام لرؤية جثة والدتها جدّتهم، مبرراً لمثل هذا القرار. وتقول ربة المنزل البالغة 63 عاماً «أراد الله أن يتركها لنا عندما نراها في هذه الحالة، كيف لنا أن نحرّقها؟».

وتضيف «مع أنّ أبحاثاً أُجريت على الظاهرة، لكنّ أحداً لم يتوصل إلى تحديد السبب الدقيق الكامن وراء عدم تحلل الجثث في مقبرة البلدة».

يعتقد سكان سان برناردو أنّ الظاهرة تعود إلى النظام الغذائي الجيد الذي يتّبعه قاطنو البلدة الزراعية، وهي نظرية غير مُثبتة عملياً، ولا قواسم مشتركة واضحة بين الجثث غير المتحللة، إذ إنّ أصحابها من أعمار متنوّعة وأنواع أجسام كثيرة، فضلاً عن أنّها تعود إلى رجال ونساء على السواء.

أما بالنسبة إلى الجوّ السائد في المقابر فخضع للدراسة أيضاً وتبيّن أنه «معتدل ورطب»، وهو ما من شأنه أن يسهّل تحلّل الجثث، على قول فيرغارا.

الجواب يكمن بكل تأكيد في المدافن، لأنّ الظاهرة بدأت عندما افتتحت البلدية مقابر جديدة لا تحوي حفراً مخصصة لتكديس التوابيت فوق بعضها.

وبعد زيارة أجرتها للمتحف، تشير عالمة الأنثروبولوجيا والباحثة في جامعة كولومبيا الوطنية دانييلا بيتانكور، إلى أن شكل مومياوات سان برناردو مماثل لمظهر مومياوات غواناخواتو في المكسيك وباليرمو في إيطاليا.

وتقول إنّ «المقابر تقع على سفح جبل شديد الانحدار، يشهد رياحاً قوية مستمرة وطقساً حاراً في الوقت نفسه. يمكننا أن نفترض أنّ المدافن تعمل كالأفران تجفف الجسم شيئاً فشيئاً».

وأشارت بيتانكور إلى ضرورة إثبات نظريتها علمياً